"حالة حب" معرضه الأول في بيروت

محمد العامري: أمارس "المازوخية" على نتاجي الفني

تاريخ النشر: 19/05/2014

بيروت- سهيلة ناصر:

محمد العامري له في الفن باع طويلة ونجاحات متعددة، إنه الشاعر والرسام والناقد الفني . رصيده من المعارض الفردية والجماعية التي جابت أصقاع العالم تسرد عوالم المفردات التشكيلية التي تسكن الفنان، ويسعى من خلالها لبث لغة الفرح والتفاؤل . أصدر العديد من الكتب والدواوين الشعرية تختزن بين سطورها كلمات الحياة وأسرارها . جوائز شعرية وتشكيلية، لا تعد ولا تحصى، تقتني أعماله مجموعة من المتاحف والمؤسسات العربية، وبيعت في مزادات دولية منها كريستيز أوكشن، وآرت فير دبي .

في "غاليري أرجوان"، يعود الشاعر والناقد والفنان التشكيلي الأردني محمد العامري إلى بيروت بصفته الفنية للمرة الأولى، يقول: "عشت فيها ولديّ علاقة مع أنماط وشرائح المجتمع على اختلافها ومع المكان والبحر، فعلاً بدأت ببناء هذه العلاقة وتحسسّ الجدران والشوارع التي كنت أمرّ بها وأنا بعيد المسافة إلى أن جئت وقمت بجولة استرجاع ذكريات المكان، بالنسبة إلي العلاقة عضوية وليست عابرة وعندما تكون كذلك تؤدي لفاعلية متبادلة بين الشخص والمكان" .

يأتي عارضاً للجمهور لوحات تستند إلى مرجعية الطبيعة بلغة التعبيرية التجريدية ينتصر فيها الفعل الجمالي من خلال اللغة الفنية التي يعتمدها . معرض "حالة حب" يحمل رسالة واحدة، خاصة وعامة في آن معاً، مفادها دعوة إلى ممارسة الحياة بفرح وتفاؤل دائم . دعوة يمارسها العامري وعنها يعبّر "أحترف الحياة وأعيشها كفعل وليس كلامياً" . الروح التفاؤلية تترك انعكاسها في أعماله، وباعتقاده هنا يأتي دور الفنان "علينا كمثقفين على مختلف الاتجاهات الفنية تقديم جرعة ولو كانت قليلة من الفرح للإنسانية وهي دعوة للابتهاج مع فعل العمل كوننا نعيش في غابة من الفراغ والخراب في الواقع والروح" . يضيف: "اللوحة في المرسم تكون لها هواجس وأسئلة مع الفنان وبمجرد التوقيع عليها تحمل تاريخاً جديداً، تاريخ العرض، فيكون لها قراءة تراكمية من قبل مرجعيات ثقافية متنوعة وتحصل إسقاطات على العمل نفسه من خلال طبيعة الإنسان المشاهد للعمل هناك من يرى أشكالاً ورؤى كثيرة وأنا أقول إن الحياة تستحق منّا الكثير وأن نلتقط جميع لحظات الفرح لأن الانسان وجد ليعمّر لا ليخرّب وللأسف ما يحصل عكس ذلك" . .

يختصر العامري مضمون معرضه بالقول: "أحكي عن الحب بمفهومه المطلق . . حب المرأة والشجرة والطبيعة والبحر وحب الحياة ذاتها . وباعتقادي أن ثمة إشكالية عند الناس بربط علاقة الحب بالمرأة، طبعاً هي أساسية في حياتنا الانسانية، أحياناً تكون الأم والحبيبة والصديقة، لكن من يتقن الحب بمفهومه العالي يستطيع أن يحب كل ما في الكون" . في معرضه البيروتي، وما سمعه الفنان الناقد يحيلنا على سؤال طرحناه حول فاعلية الرسالة وتأثيرها فيقول: "كنت سعيداً في حفل الافتتاح بأن سمعت كلمة جامعة من المختص والإنسان العادي أن اللوحات المبهجة والمضيئة أعطتنا طاقة إيجابية، هذه الآراء جزء من رسالة الحب التي أقدمها للناس وإنني أوصلت الرسالة من دون كلام وببساطة شديدة كانت دعوة للحب الدائم" .

في بداياته التشكيلية يقول: "كنت مهووساً بالسماء وتشكيلات الغيم وكنت أرى فيها الخيل، الثيران والعصافير والخيال كله، كنت مهووساً بسلفادور دالي وأعمالي قريبة من أسلوبه، في مرحلة متقدمة أصبحت الطبيعة المرجعية الأساسية لي وباعتقادي أنها المعلّم الأكبر لأي انسان يريد أن يكون مبدعاً، لأن فيها مفارقات ولا يوجد فيها عبث، أدخل إلى التفاصيل وأغوص في العمق عبر بحث جمالي دقيق غير سطحي، وأقوم بكثير من التأملات وأصوّر الكثير وأراقبها وأرى أن الطبيعة متوالدة جمالياً ينتهي عمر الإنسان ولا ينتهي البحث فيها" .

عن رؤيته لمعادلة الرسام والشاعر، يقول "أنا شخص أكتب ليلاً وفي فصل الشتاء عند سقوط المطر تحديداً فتخرج اللغة منيّ وتتمظهر القصيدة أمامي ويصبح حضورها أكبر من اللوحة . وفي الربيع والصيف، أذهب بشكل غير قصدي إلى التخطيط والتلوين واللوحة . .أعتقد أن القصيدة تحتاج إلى قليل من الاعتام واللوحة إلى قليل من الإضاءة .

وقد استوقفت العبارة الشاعر الراحل محمود درويش وسألني عنها واصفاً إياها ب"الخطيرة" . بكل بساطة أنقاد إلى احساسي الحقيقي الصادق تجاه ما أفضل سواء بالكتابة أو الرسم .

وقد أجلس أشهراً من دون أن أكتب أو أمسك الريشة . أعبّر بحسب حالات الإحساس وكأني أصاب بقشعريرة وحالة ليس لها نظام معين، والمهم أن الفعل الإبداعي الصادق سيصل إلى الآخر بغض النظر عن الوسيط" .

بين الشعر والرسم مزج بين الفعل البصري والشعري وأقام معرض "فضاءات شعرية" يجمع نصوصاً شعرية له ولآخرين . . يقول: "حاولت المقاربة ما بين الفعلين ووجدت أن النص الشعري والبصري متوازيان ويصبان في الخانة نفسها . عموماً المشارب الإبداعية تنبع من نبع واحد وأنا أقول إن هناك تقاطعات وليس تقاربات بين المناطق الإبداعية وتحديداً ما بين الكتابة والرسم" .

المسيرة الفنية الطويلة يلخصها بالقول: "أضعت وقتاً كثيراً في هدر الوقت والصعلكة في المدن وأنا نادم على ذلك، لكن تداركت المسألة وعرفت أن الكلام لا يمكن أن يصنع فناناً أو شاعراً بل المنجز الإبداعي نفسه من خلال التأثير والعمل الجاد على المشروع الإنتاجي . والحمد الله رب العالمين استطعت بالجدية والإصرار أن أصل الوطن العربي وحتى أوروبا بأعمالي وفي شهر يونيو/حزيران المقبل سأشارك كفنان أردني وحيد بتجمّع لنخبة من فناني العالم في الصين مدة 20 يوماً حيث سنعمل على إنتاج أعمال زيتية لمعرض مرتقب في شهر سبتمبر/أيلول المقبل . طبعاً هذا مقياس لطبيعة التجربة التي وصلت إليها . ودائماً أمارس القسوة الكبيرة التي تكاد تكون "مازوخية" على روحي تجاه ما أنتج من إبداع والكثير من الكتب قمت بمراجعتها أكثر من خمس مرات وما زالت في الأدراج لقناعتي مدى المسؤولية الأخلاقية والإنسانية الملقاة على الفنان" .

قسوة النقد الفني يمارسها على أعماله قبل غيره ومن دون أحكام مسبقة وعن ذلك يقول: "من خبرتي الكبيرة أستطيع الكتابة عن العمل بحرفية عالية وبمطلق الموضوعية ومن دون أحكام مسبقة . أمارس النقد على نفسي بالدرجة الأولى وكثير من اللوحات قمت بهدمها ونسفها بالكامل لعدم الرضى عنها بعد الغياب عنها لفترة معينة كي أراها بصورة جديدة، وسبب ذلك أنني إنسان جديّ في

التعامل مع فكرة الفن والكتابة وليست عملية تسلية ورفاهية فقط . نحن أمام مسألة جديّة تتطلب الحفر في هذا المجال بشكل عمودي لتأسيس ذاكرة فنية يكون الناقد موضع احترام الناس من خلالها سواء المختص أم الانسان العادي . دائماً كل عمل فني يجب أن يكون له قيمة فنية عليا وإلا يصبح محط هذيانات وتسلية وهذا ما لا يجوز . مارست العمل الصحفي كناقد فني في جريدة الدستور مدة تسع سنوات وصراحتي في النقد قادت لتقديم نحو 12 شكوى ضد آرائي، ولقناعاتي ان أكون حقيقياً اضطررت أن أغادر وأدفع ثمن موقفي الجمالي والحقيقي من الإبداع نتيجة ما كنت أكتبه عن الهزل في الشعر والفن التشكيلي الذي يؤثر في الفنان الحقيقي من خلال فهم المجتمع الزائف لفكرة الفن . حتى عندما كتبت رأياً معيناً عن مؤسسة أردنية رفعت دعوى ضدي في المحكمة، لذلك إذا كانت العقلية القبلية والايديولوجيا موجودة لا يمكن تفعيل ماكينة الناقد الحقيقي . والناقد هو مرادف لتطوير وإشاعة الفن بين الناس وهو دليل آخر للمبدع نفسه وفي حال تعطّل الماكينة كل شخص سيشتغل على كيفه ويدعّي أنه الأول، لن أتخلى عن موقفي القطعي والنهائي كوني أضع قناعاتي العلمية بالنص والمبنية على أسس موضحة عن سبب مستوى العمل وتصنيفه وليس بطريقة عاطفية" .

للعامري تحفّظ على مصطلح "الفنانين الشباب" ويطالب بإزاحته . يؤمن أن "العمر الحقيقي هو المنتج الفني، فالعمر الزمني ليس المقياس لتحديد الإبداع" . يعطي مثالاً بالقول: "آرثر رامبو وطرفة بن العبد وآخرون عاجزون سجلوا تجاوزاً في تجاربهم الفنية والأدبية رغم صغر سنهم، لكن أليس للخبرة حقها؟ . . يردّ "المهم العمل على تطوير الموهبة وعدم والوقوف عند زمن معين، وإلا عندها سيأتي الفنان الشاب الذي يسبق بأشواط من سبقه من غير الموهوبين" .

يقول العامري: "لا تهمني مسألة البيع بقدر الاهتمام لجديّة ومحبة المقتني لعمل سيأخذ مكانه على جدار لا أعرفه . المسألة إنسانية بالدرجة الأولى وليست تجارة وتسويقاً" . يضيف: "أثناء الرسم لا يكون في ذهني سعر العمل، بل الحوار الذي يدور مع العمل الفني . أتعامل مع اللوحة كحبيبة نتخاصم ونهجر بعضنا ومن ثم نتصالح . إنها علاقة صوفية إنسانية فيها حب وعاطفة من أول نقطة على القماشة لغاية انتهاء العمل الفني بالتوقيع عليه" .

في معارضه يقف العامري مستمعاً إلى آراء الجمهور غير مشارك، ومن أسباب ذلك يقول: "عندما اكون في حالة الرسم لا يكون في ذهني إرضاء أي نوع من الجمهور وأعبّر عن الصدقية العالية تجاه حالة معينة بالفن ولا أخضع لسلطة الجمهور . إذ عليه أن يثقّف ويطوّر من ذائقته ويبذل جهداً معيناً حتى يستمتع بالجمال لأن الكثير من نظرتنا للأشياء ذات علاقة بمفاهيم جاهزة ومسبقة" .

عن الثقافة البصرية في الوطن العربي قدّم بحثاً عن "الأمية البصرية والتلوّث البصري" . يقول للأسف هناك أميّة حقيقية في عالمنا العربي لكون فكرة اللوحة جديدة على جدران البيوت والأسباب كثيرة منها التربوي الصرف وغياب منهاج لتدريس الفنون وعدم زيارة المتاحف .